المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

فيلمون بعد أربعين عاماً: صانع السمفونيّات الصغيرة

أسعد قطّان | الأحد 2025/11/09



قدم وهبي فتحاً موسيقياً قض مضجع الكبير فريد الأطرش

مشاركة عبر

حجم الخط

يُحكى أنّ فيلمون وهبي كان في استقبال محمّد عبد الوهّاب في مطار بيروت، وكان ذلك في أثناء عرض مسرحيّة «لولو» للأخوين رحبانيّ العام ١٩٧٤. فبادره الزائر المصريّ بسؤال خطابيّ ينمّ عن تقدير يمتزج بشيء من الاستفزاز المحبّب: «إيه الحتّة اللي إنت قلّقت الناس بيها دي من عزّ النوم»؟ فإذا بالملحّن الظريف يجيب: «دي حتّة؟ دي سمفونيّة». والحقّ أنّ «من عزّ النوم»، هذه الأغنية الحرّاقة التي كتب منصور الرحبانيّ كلماتها الجميلة ولحّنها فيلمون، ملأت الدنيا آنذاك وشغلت الناس، حتّى إنّها، كما يقول مطلعها، سرقت شيخ الموسيقيّين في وادي النيل من رقاده قبل أن تطأ قدماه أرض لبنان ذات صيف.

فيروز - فايق يا هوى | Fairouz - Fayek ya hawa

الناس من ترداد ألحانه للؤلؤة. ويدرك أنّ بعض هذه الألحان، مثل «ليليّي بترجع يا ليل» (يعيش يعيش) و«فايق يا هوى» (الشخص) و«يا دارة دوري فينا» (المحطّة) ينافس فعلًا، من حيث تلقّفه لدى السمّيعة، أعمالًا للأخوين كبرى مثل «كفرحالا» (يعيش يعيش) و«سوا ربينا» (الشخص) و«راجعين يا هوى» (لولو). لكنّ فيلمون كان يتحدّى ذاته بالدرجة الأولى. فحيال العبقريّة الهائلة التي مثّلها الرحبانيّان، كان يدلف إلى قيعان ذاته كي يستخرج منها أحلى ما عنده وأشدّه لمعاناً. لم يكن هذا شأنه في الألحان المئتين ونيّف التي وضعها لصباح مثلًا. هناك، كان مرتاحاً يسرح كالغزال في السهول، ولا من يزعجه أو ينغّص عليه: «دخل عيونك حاكينا»، «يا طالعين من جبل لجبل»، «يا طير الطاير قلّو»، واللائحة تكاد لا تنتهي. حتّى في لحنه للصبّوحة «يا أمّي دولبني الهوى»، الذي أتى في سياق مسرحيّة رحبانيّة (دواليب الهوا)، بدا فيلمون مرتاحاً، مع أنّه رفع مستوى الصنعة التلحينيّة بما يليق بثقل الأخوين، فقدّم فتحاً موسيقيّاً قضّ مضجع الكبير فريد الأطرش، الذي راح يسأل كالمجنون عن مؤلّف هذا اللحن الأسطوريّ. بيد أنّ الألحان التي وضعها الوهبي للسيّدة فيروز لم تكن بنت العفويّة الفيلمونيّة فحسب، بل كانت أيضاً بنت القلق والتكثيف والحفر في الذات سعياً إلى أن تأتي كما أتت بالضبط: مقطوعات يتعملق فيها فيلمون إلى جانب حارسَي الكنز الفيروزيّ، وينشغل بها الكبار في القاهرة.

في هذا كلّه، قيل عن الفيلمون إنّه ملحّن شعبيّ ورائد الأغنية الشعبيّة اللبنانيّة. هو كذلك فعلًا، ولا ريب. وليس ثمّة من ينكر أنّ موسيقاه انبجست من تربة الفولكلور اللبنانيّ وتراث بلاد الشام الشعبيّ، وتكحّلت بالعبقريّة الآسرة لهذا العظيم من بلادنا. لكنّ هذا التوصيف لا يفي هذه الموسيقى حقّها. فقد كانت لابن الوهبي صولات وجولات في أمداء أخرى تجعل من الصعب اختزال إنتاجه في صيغة ما، مهما كانت رفيعة. فبالإضافة إلى تراثه المونولوجيّ المتهكّم وحضوره التشخيصيّ الفريد في المسرحيّات الرحبانيّة وسواها، كان فيلمون قادراً على أن يجترح أعمالًا مُذهلةً هي أقرب إلى الكلاسيكّي الطربيّ المخفّف، مثل لحنه النادر «تبقو اذكرونا كلّما الحسّون» لصاحب الصوت الجلموديّ الرقراق وديع الصافي .

لم ننتهِ بعد، إذاً، من تفحّص إرث فيلمون وهبي بالتحليل حتّى بعد مرور أربعة عقود على رحيله. ولم نبلغ بعد الخواتيم في تقويم إنتاجه المترامي. أمّا اليوم، فحسبنا القول إنّ هذا الفنّان الظاهرة كان قادراً على أن يستقي من روحه الصافية المرحة موسيقًى للناس تشبه الناس، وأن يحوّل النوطات البسيطة والقليلة العدد إلى سمفونيّات صغيرة تقارع جريان الزمن وتنتصر عليه.

الأكثر قراءة





وثائق إعدام.. أو رثاء لشهداء مشانق صيدنايا



"مدونة ليست شخصية" لماجد كيّالي



دور الأديان في مجتمعات مزّقها العنف

تابعنا عبر مواقع التواصل الإجتماعي

جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

جريدة "المدن" الإلكترونية جريدة إلكترونية مستقلة مقرها بيروت تمثل التيار المدني اللبناني والعربي

روابط سريعة

معلومات

النشرة البريدية

خطوة بسيطة وتكون من المطلعين على الخبر في لحظة ظهوره

أدخل بريدك الإلكتروني

اشترك